علم المعاني من الوظيفة البلاغية إلى الدلالة التفسيرية

(التقديم والتأخير- الخبر والإنشاء) إنموذجان

أ.م.د صباح عباس عنوز هدى عبد الامير زوين

كلية الفقه كلية الفقه

يطمح هذا البحث إلى الوقوف على علم المعاني بأساليبه المختلفة وهي تؤدي وظيفتها البلاغية محققة الدلالة التفسيرية , منتجة القصدية إنتاجا لا يمكن أن يتحقق إلا بطرق علم المعاني الذي سيختار البحث منها (التقديم و التأخير ,الخبر و الإنشاء), ولعل هذه المحاولة التي ترمي إلى إظهار دور علم المعاني في حمل المعنى التفسيري المقصود رؤية تومئ إلى تأكيد هيمنة علم المعاني حين تصبح أساليبه مبانيا تتخصص بتقديم المعنى التفسيري المقصود ,وتصبح في الوقت نفسه طريقا موصلا إلى المرام التفسيري و لا نريد الخوض في نشأة علم لمعاني ولكن ما يهمنا أن نقوم بتطبيق اجرائي حول هذه المسألة.فالتقديم و التأخير معلمان من معالم البلاغة يخفيان وراءهما أسرارا ومزايا بلاغية وفيهما تظهر مزية الكلام ,ويعلو بهما أسلوب على أسلوب ويبدو بهما الإعجاز ,وقد بلغ القران الكريم الذروة في هذا الفن , فوضع الكلمات في موضعها المناسب مع مراعاة السياق العام , فجاء التعبير متناسقا وكأنه لوحة فنية متكاملة,ولم يقدم لفظ في القران أو يؤخر إلا لمعنى مقصود وسر بلاغي مكنون فيه .

ومرادنا هو البحث في توجيه دلالة الآية القرآنية تفسيريا ,ولم تكن هذه الدلالة لتتم إلا بهذا الأسلوب البديع, فنجد الإعجاز القرآني في كل منحى من مناحي النص القرآني ,فكانت البلاغة وسيلة لخدمة هذه الغاية الجليلة .

أولا التقديم: له تأثير واضح في نفس السامع من حيث التمهيد و التشويق لما سيأتي بعده, ولما فيه من إصابة للغرض بالتعبير المناسب (فالإعلام عن الشيء بغتة ليس مثل الإعلام به بعد تمهيد وتقدمه),فلا يخفى ما في قوله تعالى﴿فإنها لا تعمي الأبصار﴾ من التأثير النفسي ,لا نجدها لو قيل:فان الأبصار لا تعمى، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾([1]) ما فيها من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين لا يكون لو قيل (إن الكافرين لا يفلحون)، لأن الحكم على الكافرين جاء بعد تقدمة وتنبيه، فحصل تشويق وإثارة في النفس([2])وسنرى هذا عند دراستنا:

1- تقديم المسند إليه وأثره في التفسير:

يقدّم المسند إليه لأغراض بلاغية تؤثر في تفسير النص ومعناه، منها([3]):

أ - إن كان هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه([4])، ففي قوله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾([5]) خصَّ محمد ﷺ بالرسالة فلزم حضوره قبل الحكم عليه([6])، وفيها تأكيد على رسالة النبي محمد ﷺ وأفادنا التقديم في التأكيد على المتقدم والاهتمام به حيث لا عدول عنه، ومن ثم فقد أفاد في توجيه دلالة النص

---

[1] المؤمنون: 117 ().

[2] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 132-133 ().

[3] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 120 ().

[4] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 308 ().

[5] الفتح: 29 ().

[6] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 9/208+ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 308 ().

القرآني التفسيرية وذلك بتعظيم ذكر اسم الرسول ﷺ مقدما..

ب ـ التشويق إلى الكلام المتأخر والمسند إليه هو الأصل:

في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾([7]) فالناس يتشوقون لمعرفة من أكرم عند الله وهم يحسبون أن الكرم هو البذل والعطاء فجاء كلامه تعالى ليخبرهم أن الكرم هو التقوى عن المعاصي، والعمل بطاعته تعالى وعبادته([8])، فتقديم اسم التفضيل شوّق المخاطب لمعرفة من هو أكرم عند الله، وتبقى نفسه متأملة لذلك الكريم الذي فُضّل عنده تعالى، وعند مجيء الخبر التذت النفس به لأنه جاء بعد تشويق ورغبة فعن النبي ﷺ : (من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتقِ الله)([9]) وعن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : (إن تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة)([10]) فالتقديم أثّر في إظهار معنى النص وصورته التفسيرية وتبيان مراد الله تعالى.

جـ ـ ويقدّم المسند إليه أن كان شيئا مستغربا لمجيئه على خلاف العادة، ففي قوله: ﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾([11]) (يوزعون أي يحبسون)([12])، وعند القمي(ت329ه) عن الباقر عليه السلام (يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا)([13])، وقُدّم الضمير (هم) على الخبر لغرابته في اجتماع الإنس والجن والطير في مكان واحد واقتضى توكيده حتى تأنس النفوس به ويتقرّر لديها، ولو قيل (يوزعون) لما كان التركيب ملائما لحال النفس المتلقية([14]). فتقديم الضمير أفاد في تهيئة الذهن لاستقبال هذا الخبر الغريب وتصور كيفية حشرهم مما يجعله متقبلا لهذا الأمر، فأثر تقديم المسند إليه (وهو من أساليب علم المعاني) في تفسير النص ومعناه وتخيّل هذا الأمر الغريب وتقبله.

د ـ ويقدّم المسند إليه على الخبر الفعلي والكلام مثبت لتقوية الحكم وتقريره وتوكيده. ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ** ﴾([15]) قُدِّم الضمير (هم) تأكيدا لاتحاد حالهم بالكفر، أي أنهم قد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم على حالهم من الكفر([16])، فالتقديم أفاد في تقوية الحكم وتقريره، ولو لم يُقدم الضمير وقال: (وقد خرجوا به)، لم يفِد التأكيد والتقوية التي أحدثها تقديمه ([17]). والتقديم أثبت الفعل للفاعل ودفع الشك عنه، فالله تعالى يؤكد أنهم هم من خرج بالكفر أي أنفسهم الذين دخلوا به وفي ذلك تقرير لحال مصيرهم الذي سينالونه جزاء كفرهم وثبوتهم عليه، وعلل الجرجاني سبب افادة التوكيد هو أن التقديم للشيء افضل من مجيئه بغتة([18])، بينما علله السكاكي بتكرار الاسناد (وهذا تعليل نحوي) بأن الفعل اسند مرة إلى الفاعل، ومرة بإسناد

---

[7] الحجرات: 13.
[8] ظ: التبيان، الطوسي: 9/347+ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 9/123.
[9] مشكاة الانوار،علي الطبرسي :52.
[10] نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 13/5.
[11] النمل: 17.
[12] تاج العروس، الزبيدي: 11/508.
[13] تفسير القمي، القمي (علي بن إبراهيم): 2/127.
[14] ظ: خصائص التراكيب، محمد أبو موسى: 174-175.
[15] المائدة: 61.
[16] ظ: الكشاف، الزمخشري: 1/640.
[17] ظ:فن البلاغة، د. عبد القادر حسين: 104.
[18] ظ: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 132.

الجملة إلى الضمير المتقدم فالتكرار هو منشأ التوكيد([19])، والبحث يرى أن في رأي الجرجاني تعبيرا بلاغيا مؤثرا أكثر مما لو عُلل السبب بالناحية النحوية، لذا فهو يميل إلى رأي الجرجاني.وما أراد أن يخرج به البحث هو أثر هذا التقديم في معنى النص وتفسيره وهو ما توصل إليه عبر هذا الأسلوب الذي أفاد تقوية الحكم، ولم يكن ليتقوّى إلا به، وهو الذي أفدناه من علم المعاني.وهناك مسوّغات أخرى للتقديم لا يسع البحث ذكرها، والمهم هو تأثيرها في رسم الملامح التفسيرية للنصوص القرآنية ومعانيها.

2ـ تقديم المسند وأثره في التفسير:

يُقدّم المسند لأغراض بلاغية تؤثر في معنى النصوص القرآنية وتفسيرها ، منها:

أ ـ التخصيص أو القصر (أي قصر المسند إليه على المسند) لا يتجاوزه إلى غيره([20]) كقوله تعالى: ﴿ **بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ *لاَ فِيهَا غَوْلٌ**[21]* **وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**[22]*﴾([23]) ففي قوله تعالى عن خمور الجنة (لا فيها غولٌ) (أي أن خمر الجنة لا يغتال العقول، وليس فيه ما في خمر الدنيا من أضرار)([24]).قُدّم الظرف (لا فيها) لقصر الغول على اتصافه بخمر الدنيا فلا يتجاوزه إلى خمر الجنة أو قصر عدم الغول على اتصافه بحصوله في خمور الجنة فلا يتجاوزها إلى عدم الحصول في غيرها([25]). ولو لم يقدّم المسند (الظرف) أي قيل (لا غول فيها) لأفاد مجرد نفي الغول عن خمر الجنة دون التعرض لخمور الدنيا([26]). كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾([27]) فان الظرف لم يُقدّم، لأنه إن تقدم أشعر بأن هناك كتابا غيره فيه ريب، وهذا تشكيك بالكتب المقدسة النازلة كلها من الله تعالى، لذلك انتفى التقديم([28])، أما في الآية المتقدمة، فان عدم الغول يشمل خمر الجنة فقط، لذا قُدّم الظرف([29])، فنجد أثر التقديم واضحا في تبيان معنى النص وتفسيره مما يتوضّح اثر علم المعاني فيه.

ب ـ ويُقدّم المسند للتشويق إلى ذكر المسند إليه، فان ذكر الشيء بعد تقدمة وتنبيه ليس كذكره بغتة([30])، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ**﴾([31])، الآية العلامة([32]) والدليل الواضح([33]). فالتفكر بدلائل الله وعظمته في خلق السماوات والأرض وجعل الليل والنهار مختلفين، بل واختلاف كل منهما عن نفسه، فتارة بارد وتارة حار وتارة قصير وتارة طويل، فكلها علامات وأدلة على وجود الله وعظمة خلقه ويتفكر بها من له بصيرة وعقل، (وسمي العقل لبّا لأنه أشرف وأخص ما في الإنسان)([34]) وقدّم الخبر: (في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار) ليتشوق السامع في التفكر من الهدف من هذا الخلق العظيم واختلافه عن بعضه ولم يكن المعنى لياتي بهذه القوة وبهذا الربط لو لم يتقدّم الخبر،

---

[19] ظ: مفتاح العلوم، السكاكي: 326 ().
[20] ظ: الإيضاح، القزويني: 87(1).
[21] الصافات:46-47(2).
[22]* الغول:الافساد او الوجع في البطن.
[23]* ينزفون: ذهاب العقول بالسكر، مجمع البيان، الطبرسي: 8/305.
[24] تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: 17/128 ().
[25] ظ: الحاشية على الكشاف، الشريف الجرجاني: 115 ().
[26] ظ: البرهان، الزركشي: 3/273 ().
[27] البقرة: 2 ().
[28] ظ: تفسير الآلوسي: 1/107+ ظ: تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهداني: 1/78 ().
[29] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 327 ().
[30] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 132 ().
[31] آل عمران: 190 ().
[32] أضواء البيان، الشنقيطي: 1/5 ().
[33] جوامع الجامع، الطبرسي: 1/260 ().
[34] ظ: زبدة البيان، المحقق الاردبيلي: 137 ().

وذكر المسند إليه بعد التشويق والتقدمه يكون ألذ للنفس وأنفع في تركيز المعنى لديها. وهذا ما افادنا به التقديم الذي سوّغه لنا علم المعاني لأجل إعطاء صورة واضحة لمراد الله تعالى ولأجل أن يتفكر بها أولوا الألباب. (وهناك أغراض عديدة لتقديم المسند لا يسع المجال لذكرها)([35]).

3ـ تقديم المفعول به وأثره في التفسير:

الاصل في المفعول أن يلي فعله لأنه تابع له ومتعلق به([36]) ولا يتقدمه إلا لغاية فنية وغرض معنوي، ومن هذه الأغراض:

أ ـ إفادة التخصيص، (والتخصيص يلازم التقديم دائما)([37])، ففي قوله تعالى على لسان العبد: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾([38]) قُدّم الضمير (المفعول به) (اياك) (لإرادة قصر العبادة عليه وحده والاستعانة به لا بغيره)([39]) (فالعبادة والاستعانة متلازمتان فعبادته استعانة والاستعانة به عبادة)([40]) وهما مختصتان بالضمير المتقدم([41])، فتقدمه عن الفعل وانفصاله أفاد الحصر([42]). وهذا المعنى لم يكن ليتم لو تأخر المفعول فلا يكون في الكلام تخصيص أو حصر، وهذا ما نراه في الآية التالية: (اهدِنا الصراط المستقيم) فالمفعول لم يُقدّم لأن الهداية لا يصح فيها الاختصاص والحصر، فهي لا تخصّ فردا واحدا بل تعم جميع العباد، فلا نقول: اللهم أهدِني وحدي ولا تهدِ أحدا غيري مثلما تختص العبادة والاستعانة بالله وحده، والهداية مثل الرزق والعافية، فالعبد يسأل ربه أن يرزقه ويعافيه مثلما يسأله أن يهديه([43]). فالتقديم قصر العبادة والاستعانة على الله وحده وهذا ما أفاده أسلوب التقديم الذي لوّح به علم المعاني في إفادة إعطاء النص القوة والمتانة وتخصيص الفعل بالمفعول وقصره عليه.

ب ـ تقديم المفعول للعناية والاهتمام بالمتقدم: (والاهتمام هنا لسبب بلاغي)([44]) كقوله تعالى: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ**﴾([45])، حاصبا (الريح العاصفة فيها حصى صغيرة)([46]) والتي نزلت على قوم لوط عقابا لهم([47])، قال تعالى: ﴿ **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**﴾([48]) أما الصيحة فهي الصيحة السماوية نتيجة الصاعقة التي تقترن مع الزلزلة في زمان الوقوع([49]) أو هو العذاب النازل على مدين وثمود([50]). لقوله تعالى: ﴿ **وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾([51]).

---

[35] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 326-333 ()
[36] ظ:شرح ابن عقيل،ابن عقيل الهمداني:1/533.(6)
[37] البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين: 171 ().
[38] الفاتحة: 5-6 ().
[39] تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم: 152 ().
[40] مواهب الرحمن، السيد عبد الاعلى السبزواري: 1/39 ().
[41] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 335 ().
[42] ظ: مواهب الرحمن، السبزواري: 1/34 ().
[43] ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: 49-50 ().
[44] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 108 ().
[45] العنكبوت: 40 ().
[46] التبيان، الطوسي: 8/58+ مجمع البيان، الطبرسي: 8/24 ().
[47] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 8/25 ().
[48] الحاقة: 7 ().
[49] ظ: الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي: 12/386 ().
[50] ظ: التفسير الاصفى، الفيض الكاشاني: 2/946 ().
[51] هود: 67 ().

فقدّم المفعول (كلا) للدلالة على أن لكل منهم عقابه، والله يعاقب كل أمة بما تستحقه من العذاب بتكذيبهم الرسل([52]). ولو قيل (أخذناهم بذنبهم) لم يتأتَ المعنى المقصود في الآية ولم يتّضح هذا التفصيل في أن لكل أمة عذابا يختلف عن عذاب غيرها، فالتقديم أدّى مهمته في الاهتمام بالأمر المتقدم وأفاد التفصيل في توضيح العقوبة الإلهية لكل من يظلم، فاثر التقديم واضح في تفسير مراد الله تعالى من الآية وهو ما يبتغيه البحث.

جـ ـ ويقدم المفعول رعاية للفاصلة، كقوله تعالى: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾([53])، العرجون (طلع النخل، وهو مثل الهلال في أول طلوعه)([54])، وقيل هو العذق اليابس المقوس، والقديم الذي أشرف على الحول([55]). قُدم المفعول (القمر) رعاية للفاصلة ونظم الكلام وسياقه ليتناسق مع الآية التي قبلها: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾([56]) فقد قُدّمت الشمس فيها، لذا قُدّم القمر وبالإضافة إلى الفاصلة فتقديم القمر له عناية في إظهاره والاهتمام به كالاهتمام بالشمس فإنهما الاثنان من دلائل عظمة الله تعالى وإعجاز خلقه، والقمر أعجب من الشمس في مسيره في منازله (وهي ثمانية وعشرون منزلا وفي كل ليلة ينزل في واحد من هذه المنازل ليكتمل مسيره لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه)([57]) فيظهر بأشكال وأحجام مختلفة وهذا من أسرار خلقة الله تعالى ليكون آية لذوي الألباب.فالتقديم له دور بارز في إيصال مراد الله تعالى إلى الخلق، ولو قيل قدرنا القمر منازل لم يكن هذا الاهتمام بالقمر ومنازله وأشكاله، وهذا التقديم هو ما أفادنا به علم المعاني الذي رسم لنا هذا المعلم. وقرّر أن هذا التقديم لا يحصل إلا لغرض بلاغي في النص، وفي هذا يثبت إعجاز قوله تعالى: فهو لم يقدّم لفظ أو يؤخّره إلا لهدف وقصد يرمي اليه من خلال تقديمه أو تأخيره، لأجل جلاء مراده تعالى وإيصالنا إلى الحقيقة المبتغاة في التعرف على أسرار أعجاز كتابه الكريم.

4- تقديم متعلقات الفعل وأثرها في التفسير:

متعلقات الفعل (كالفاعل والمفعول والظرف) قد تقدّم على بعضها لأغراض بلاغية لطيفة يتقوّى بها المعنى ويتضح، وقد مُلأ القرآن الكريم بهذا النوع من التقديم، وفي تقديمها تأثير نفسي عميق لدى المخاطب لأجل تثبيت معنى معيّن في نفسه كما نرى في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾([58]) ففي قوله تعالى: ﴿ **شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ لم يُقدّم الجار والمجرور لأن الغرض إثبات شهادتهم على الأمم دون اختصاصهم بها وحدهم أما في قوله تعالى: ﴿ **عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ فقدّم الجار والمجرور على خبر كان لأن الغرض إفادة اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وحدهم وليس مجرد إثبات الشهادة([59]) فالتقديم أفاد اختصاص الرسول بهم وحدهم ليكون شهيدا عليهم، فهو الشاهد على العادلين في أمته في يوم القيامة،و لو لم يقدّم الظرف لكان الرسول يشهد عليهم وعلى غيرهم وهذا ليس مراد الله تعالى من الآية الكريمة، فبذلك برز لنا دور التقديم في تبيان ملامح النص التفسيري واتضح أكثر في مقارنته مع ما لا تقديم فيه

---

[52] ظ: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: 2/209 ()

[53] يس: 39 ()

[54] تفسير القمي،القمي: 2/215 ()

[55] ظ: التبيان، الطوسي: 8/458+ ظ: جامع البيان، الطبري: 23/8 ()

[56] يس: 38 ()

[57] الكشاف، الزمخشري: 4/16 ()

[58] البقرة: 143 ()

[59] ظ: مفتاح العلوم، السكاكي: 340 ()

وهو: الفائدة البلاغية المؤثرة في تفسير النص القرآني والتي أفادنا بها علم المعاني بطريق من طرقه إلا وهو التقديم.

وهناك أغراض عديدة للتقديم منها:

أ ـ كون ذكر المتقدم أهم والعناية به اتمّ كاعتناء المتكلم أو السامع بما يتعلق به الفعل أكثر من تعلقه بالفاعل مثلا([60]). وقد أخذ هذا النوع من التقديم مأخذا كبيرا في الدراسات النفسية الأدبية لارتباطه ارتباطا وثيقا بانفعالات النفس وما تستلذ وترتاح له وهذا يرتبط بالمعاني التي يبتغيها المنشئ فيكون ذلك المعنى منظما ملائما للنفس وأحوالها([61]). ففي قوله تعالى في الآيتين الكريمتين: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾([62]) وقوله: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾([63]) في الآيتين الصورتان متشابهتان في منع قتل الأولاد بسبب الإملاق (الفقر والفاقة)([64]) وعند التمعّن فيها نجد أن الضمائر مختلفة في التقديم لسبب بلاغي، ففي الآية الأولى (نرزقكم وإياهم) قُدّم ضمير الخطاب على ضمير الغائبين. لأنه خطاب للفقراء بدليل قوله تعالى (من إملاق) لأنهم يقتلون أولادهم بسبب الفقر، فرزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم لأنهم يعيشون تحت هذا الظرف، فقُدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم (وهذا ما اقتضاه مقام الآية) أما الآية الثانية فقال تعالى: (نرزقهم وإياكم) فقدّم ضمير الغائب على ضمير المخاطب لأن الخطاب للأغنياء بدليل قوله تعالى (خشية إملاق) والخشية تكون مما لم يقع بعد، فهم مرزوقون، فكان رزق أولادهم هو المطلوب لذا قُدّم على رزقهم (لاقتضاء الحال ذلك)([65]) فنرى التقديم كان لمقتضى الحال، ولكل حال سر بلاغي جاء من أجله التقديم وليس فقط العناية والاهتمام، وبرز هذا السر بالتأمل في سياق الآيات ومعانيها وتأثيرها فخطاب الفقراء اختلف عن خطاب الأغنياء فقدم الضمير الأكثر اهتماما به على الآخر وحسب مقتضى الحال، وهذا ما أفادنا به هذه المعلم من معالم المعاني إلا وهو التقديم في إظهار الصورتين المختلفتين.

ب ـ إن كان في التأخير إخلالا ببيان المعنى، فداعي التقديم دفع توهّم غير المراد([66]) ففي قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ**﴾([67]) وصف الرجل بثلاث صفات: الإيمان، وكونه من آل فرعون، وكتمانه لإيمانه([68])، فلو أخر (من آل فرعون) على (يكتم ايمانه) لأختلّ المعنى وما فُهم المراد من قوله تعالى وأصبح، (من آل فرعون) متعلق بـ(يكتم) أي انه يكتم ايمانه خوفا من آل فرعون، وفي هذا ضياع للهدف والغرض من الآية التي أراد تعالى أن يبيّن بها بانه جعل لموسى ناصرا من أعدائه(وهذه حكمة إلهية بالغة) ([69]) ، والتقديم أظهر هذا الغرض فسياق الآية والتمعُّن فيها، أوضح الهدف من التقديم وأوقفنا على دلالتها التفسيرية ولولاه لم يكن يتم المعنى المراد، لذلك كان قوله تعالى معجزا في كل جزئيه من جزئياته وأساليبه

---

[60] ظ:مفتاح العلوم،السكاكي : 342 ()
[61] ظ: النص الادبي من التكوين الشعري إلى أنماط الصورة البيانية، د. صباح عنوز: 18 ()
[62] الانعام: 151 ().
[63] الاسراء: 31 ().
[64] ظ:الكشاف،الزمخشري:2/638 ().
[65] ظ: بديع القرآن، ابن ابي الاصبع: 260-261+ ظ: الإيضاح، القزويني: 96+ ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: 63-64 ()
[66] ظ: الإيضاح، القزويني: 96 ().
[67] غافر: 28 ().
[68] ظ: الكشاف، الزمخشري: 4/158 ().
[69] ظ: البرهان، الزركشي: 3/233 ().

التي جاء عليها وهناك أغراض كثيرة لهذا النوع من التقديم لا يسع المجال لذكرها([70]).

5- أغراض بلاغية أخرى للتقديم:

تُقدم معمولات الفعل أحدها على الأخرى للفت الأنظار إلى أمور أهم من أمور أخرى، فيلغى ترتيب الكلمات في التقدّم أو التأخُّر، ليؤكد على الجانب البلاغي في النص وأهمية الكلام المعتنى به والمقدّم على غيره، ويكون المسوّغ للتقديم أو التأخير هو التركيز على فكرة أو موضوع معيّن تنطوي عليه الآيات الكريمة، وتتجسد حيوية السورة في تقديم أو تأخير المواقف والأفكار والموضوعات وحسب ما يقتضيه المقام([71])، فقد يبدأ بالأقدم ثم الذي يليه كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾([72]) قُدّم الجن لأن الله خلقهم قبل الإنس بدليل قوله تعالى: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾([73])، فالتقديم أفاد العلم بقدم خلق الجان([74]) واسهم في تفسير النص الكريم، وأحيانا يكون التقديم حسب الفضل والشرف كقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**﴾([75]) فالتقديم من أشرفهم وهم الأنبياء (وهم أقلّهم) ثم يزدادون فالصدّيقون أكثر منهم ثم الشهداء وهم أكثر، وأكثرهم الصالحون، فكلما ترقى الناس في الفضل قلَّ صنفهم([76]). فالتقديم فسّر لنا هذا الترتيب في المقامات. وفي قوله تعالى: ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾([77]) قُدّم (رجالا) لأن من حجّ راجلا أفضل منزلة عند الله تعالى لما يقاسيه من الجهد والمشقة، فعن ابن عباس (وددت لو حججت راجلا، فان الله قدّم الرجّالة على الركبان في القرآن)([78]) فأفاد التقديم توضيح فضل من يأتي إلى الحج ماشيا وفضله على الراكب لما يقاسيه من مشقة وإيذاء لنفسه مرضاة لله تعالى([79]) وبهذا أفاد في رسم صورة أفضل الحاجّين إلى بيت الله الحرام.

أو يكون التقديم بسبب الرتبة (أي الترتيب)، ففي قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ**﴾([80]) فبدأ بالجباه ثم الجنوب ثم الظهور، قيل (لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس ازورّوا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم)([81]) فأفادنا التقديم في تخيّل النفس لهؤلاء وهم يبتعدون عن الفقراء استكبارا وتعاليا.أو يكون التقديم حسب الكثرة والقلة، فقد يبدأ من القلة متدرجا إلى الكثرة حسبما يقتضيه المقام والسياق العام، ففي قوله تعالى: ﴿ **أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾([82]) بدأ من القلة، فالطائفون الذين يطوفون حول الكعبة أقلّ من العاكفين في المساجد، والعاكفون أقل من الراكعين لأن الاعتكاف يكون في المساجد فقط والركوع يكون في أي أرضٍ طاهرة، والراكعين أقل من الساجدين لأن لكل ركعة سجدتين في الصلاة (ولم يعطف هنا فكأن الراكعين هم الساجدون أنفسهم) ثم هناك سجود ليس له ركوع كسجدة

---

[70] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 195-198+ ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: 64-68+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 333-335.

[71] ظ: القواعد البلاغية، د. محمود البستاني: 83-88.

[72] الذاريات: 56.

[73] الحجر: 27.

[74] ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: 53.

[75] النساء: 69.

[76] ظ: الاتقان، السيوطي: 2/382.

[77] الحج: 27.

[78] مواهب الجليل، الحطاب الرعيني: 3/516، وجاء فيه (قال بعضهم).

[79] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 198.

[80] التوبة: 35.

[81] الكشاف، الزمخشري: 2/260.

[82] البقرة: 125.

التلاوة وسجدة الشكر، فالتدرّج في الآية من القلة إلى الكثرة([83]). وبهذا أفاد التقديم في تفسير وإيضاح الدلالة القرآنية والتي أوحت لنا بما في القرآن من اعجاز بياني عميق.

ثانيا: التأخير.

تأخير المسند أو المسند إليه:

يؤخران إذا أقتضى المقام ذلك فعند تقديم المسند إليه يؤخر المسند وعند تقديم المسند يؤخر المسند إليه (بالتماس دواعي التقديم السابقة) وقد يؤخر المسند اليه، رعاية للفاصلة لتحسين الكلام بهاففي قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ**﴾([84]) أخّر الفاعل وقُدّم المفعول رعاية للفاصلة، كذلك قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾([85]) جاء تأخير الفاعل رعاية للفاصلة ولأن النفس تتشوق لفاعل اوجس فاذا جاء بعد أن أخّر وقع بموقع أحسن مما لو قُدّم، فيكون بتقديمه خروج على النسق الصوتي وإخلال بموسيقى النظم وما لها من وقع في النفس([86]). فنرى أن للتأخير أيضا دوراًبارزافي إظهار ملامح التفسير والتوصُّل من خلاله إلى مراد الله تعالى وتبيان إعجاز كتابه العظيم.وهكذا أفادنا هذا المعلم من معالم البلاغة (وهو التقديم والتأخير) في ايضاح الدلالة التفسيرية للنص القرآني، وجاء التقديم بوصفه رافدا مهما من روافد علم المعاني ليكون له التأثير البارز والواضح في تفسير النصوص وايضاح دلالاتها بالإضافة إلى تأثيره في نفس المتلقي، وما يحرّكه فيها من مشاعر لتنسجم مع النص فأثره كبير في حسن الكلام المعجز ودوره واضح في تبيان الإعجاز القرآني.

الخبر والإنشاء وأغراضهما البلاغية وأثرهما في التفسير:

أولا: الخبر:

الخبر لغة: (النبأ، وهو كل ما يُنقل من الغير)([87]).

وفي الاصطلاح: هو كل كلام يصح وصفه بالصدق والكذب لذاته، بغض النظر عن قائله([88])، واختلف العلماء في ضابط الصدق والكذب([89]) وفي تعريفهما([90]).

والخبر أما: ابتدائي([91])، أو طلبي([92])، أو إنكاري([93])(وهذا حسب حال المخاطب وحسب مقتضى الظاهر)([94]).

خروج الخبر إلى غير مقتضى الظاهر:

وقد يخرج الخبر إلى غير مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية([95])، نوجزها فيما يأتي:

1- أن يُنزّل خالي الذهن منزلة المتردد أو المنكر، فيؤكد له الكلام، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**

---

[83] .ظ: البرهان، الزركشي: 3/249+ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: 57 ()

[84] .القمر: 41 ()

[85] .طه: 67 ()

[86] .ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 343 ()

[87] .لسان العرب، ابن منظور: 4/226+ تاج العروس، الزبيدي: 6/325()

[88] .ظ: الإيضاح، القزوني: 25+ ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: 53 ()

[89] .ظ:م.ن +ظ: قواعد البلاغة، مصطفى النوراني: 87-88+ظ: علم المعاني، درويش الجندي : 15 ()

[90] .ظ: الصاحبي، ابن فارس: 133+ظ: شرح المختصر، التفتازاني: 43- 45 ()

[91] .ظ: الإيضاح، القزويني: 28+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 21 ()

[92] .ظ: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: 59 ()

[93] .ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: 59+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 24 ()

[94] .الإيضاح، القزويني: 28 ()

[95] .ظ م.ن : 29 ()

وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[96] في الآية الكريمة نهي لنوح عليه السلام في أن يخاطب الله تعالى ويدعوه ويسأله في شأن قومه، بأن يمهلهم ويؤخّر إهلاكهم، لأنه تعالى حكم بإهلاكهم واخبر نوح بأنهم هالكون لا محالة، فلا يكون الأمر بخلاف ما أخبر به تعالى[97]، ولا تنفع الشفاعة لهم[98] وفي قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ الكلام يلوّح بالخبر تلويحا ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم صاروا محكوما عليهم بذلك فقيل (أنهم مغرقون) بالتأكيد[99]. فالكلام كأنه أصبح مظنّة للتردد والطلب فجاء الرد مؤكدا قويا[100]. فخروج الكلام على غير مقتضى الظاهر أدّى معنى بلاغيا هو الإجابة عما أثير في نفس نوح من مصير أهله وما سيحل بهم فوقع الخبر إليه مؤكدا.

ويذكر القزويني بقوله: (وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض)[101] وكما ذكر عبد القاهر بأنها من كمال البلاغة وإصابة المحزّ[102].

2- أن يُنزّل غير المنكر منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من إمارات الإنكار[103]، ففي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ *ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾[104] أكد الموت مرتين وأكد البعث بمؤكد واحد، يذكر الزركشي: أن البعث لما قامت البراهين القطعية عليه، صار المنكر له كالمنكر للبديهيات فلم يحتج إلى تأكيد، أما الموت فأنهم وإن أقرّوا به لكنهم لم يعلموا ما بعده فنُزّلوا منزلة من لم يُقرّبه، فاحتاج إلى تأكيد آخر، ولمّا ظهر عليهم التمادي والغفلة والاعراض عن العمل لما بعده والانهماك في الدنيا (وهي من إمارات إنكار الموت) فقال (ميتون) ولم يقل تموتون (وهذا تأكيد ثالث)[105]، أي أن تأكيد الموت مبالغ فيه لأن الناس نسوه ولم يضعوه نصب أعينهم وتمادوا في غفلتهم حتى كأنهم مخلّدون في الحياة، أما البعث فأنه لا نزاع فيه ولا يقبل إنكارا فأكد بمؤكّد واحد[106].فتنزيل غير المنكر منزلة المنكر أفاد في إظهار صورة الموت أمام الإنسان وإنها حقيقة كبرى لا يمكن إغفالها أو تناسيها عِبر تأكيد الكلام، وبذلك أسهم هذا الأسلوب في توصيل المعنى المراد من قوله تعالى.

3- أن ينزّل المنكر منزلة خالي الذهن: فيأتي الخبر خاليا من التوكيد رغم أن المخاطب منكر له، ففي قوله تعالى: ﴿**إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[107] الخطاب نزل لكفار مكة وهم لديهم من البراهين الساطعة والحجج القاطعة التي تقنعهم بالوحدانية لكنهم لعنادهم وتكبرهم لم يقرّوا بها وأنكروها واستكبروا عليها، والله تعالى لم يقم وزنا لإنكارهم هذا فجاء الخطاب اليهم غير مؤكد[108].ولكن هذه الآية أن قيلت لقوم غير منكرين فلا يكون فيها خروج عن مقتضى الظاهر، ففي قوله تعالى: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ**﴾[109] الخطاب هنا للمجتمع المسلم في المدينة والذي لا ينكر التوحيد فجاءت الآية مطابقة لمقتضى الحال[110]، فعدم التوكيد في الآية في سورة النحل

---

[96] هود: 37 ().
[97] ظ: التبيان، الطوسي: 5/482+ ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 5/269+ ظ: الميزان، الطباطبائي: 15/25 ().
[98] ظ: الكشاف، الزمخشري: 2/377 ().
[99] ظ: الاتقان، السيوطي: 2/175+ ظ: مختصر المعاني، التفتازاني: 35+ظ: المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: 129 ().
[100] ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: 61 ().
[101] الإيضاح، القزويني: 29 ().
[102] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 316 ().
[103] ظ: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: 61 ().
[104] المؤمنون: 15-16 ().
[105] ظ: البرهان، الزركشي: 2/291+م.ن: 3/87-88+ ظ: الاتقان، السيوطي: 2/174 ().
[106] ظ: الكشاف، الزمخشري: 174-175 ().
[107] النحل: 22 ().
[108] ظ: علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 56+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 46 ().
[109] البقرة: 163 ().
[110] ظ: البلاغة، فنونها وأفنانها: 136 ().

أفاد بان الله تعالى تجاهل إنكار هؤلاء المعاندين وألقى الكلام غير مؤكد كأنه من المسلمات البديهية وهي كذلك لو فكر الكافر بها وأقلع عن جحوده وإنكاره وهذا ما أفاده من غرض بلاغي. وهذه الأغراض تختلف حسب حال المخاطبين أو لدواع أخرى غير حال المخاطب فقد يأتي الكلام غير مؤكد في حال وفي حال أخرى يأتي مؤكدا لمعنى أراده الله تعالى، فمثلا في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾[111]. فالمنافقون أكدوا الخبر (إنك لرسول الله) ليفيدوا بأنه قد امتلأت به قلوبهم ونفوسهم وان شهادتهم صادرة عن إيمان به ولما كان قولهم هذا عن غير اعتقاد (والله يعلم بذلك) جاء الخبر بعد قولهم، مؤكد بمؤكدين (انك لرسوله، أن المنافقين لكاذبون) ليفيد أن ما أكدوه عن غير اعتقاد سيبقى في علم الله مؤكدا قويا، وكذلك في اعتقاد المؤمنين، وليبين كذب المنافقين ويبرزه بنفس القوة والتأكيد الذي أكدوا به شهادتهم عن غير اعتقاد، وفي هذا توبيخ وتقريع لهم[112]. وهناك مواقع يخرج فيه الكلام عن غير الظاهر كأن ينزل العالم بفائدة الخبر إلى منزلة الجاهل أو المتردد منزلة خالي الذهن أو المنكر منزلة المتردد وغيرها من الاغراض الأخرى.

أغراض الخبر الاصلية و البلاغية:

للخبر غرضان أصليان هما: (فائدة الخبر، ولازم الفائدة)، ففائدة الخبر: هي إفادة المخاطب مضمون الخبر وحكمه المستفاد منه[113]. كقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[114]، أما (لازم الفائدة) : فهو قصد المتكلم أن يفيد المخاطب انه عالم بالحكم (أي بمضمون الخبر) وانه يشاركه في هذه المعرفة[115]، كقول رسول الله ﷺ يصف الأنصار: (إنكم لتقلّون عند الطمع وتكثرون عن الفزع)[116]، أما الأغراض التي يخرج إليها الخبر بلاغيا فهي كثيرة منها:

1- إظهار الضعف: في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾[117] الكلام عن زكريا حينما دعا ربه بكلمات غاية في الخضوع والتذلل وإظهار الضعف والقصور عن نيل المطالب وبلوغ المآرب[118] فوهن العظام وظهور الشيب دليل الضعف والكبر ورسول الموت ورائده ونذيره، فتوسّل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه (وهذه من أحب الوسائل إلى الله تعالى في الدعاء) لأنه دليل على التبرّي من الحول والقوة وتعلق القلب بحول الله وقوته[119]، قال العلماء: (يستحب للمرء أن يجمع في دعائه بين الخضوع وذكر نعم الله عليه كما فعل زكريا هنا)[120]، فالغرض من الخبر هنا ليس إخبار الله تعالى فهو عالم بكل شيء ولكن من أجل إظهار ضعفه وانه قد بلغ من الوهن غاية لا أمل له بعدها في الحياة مما اثر في تفسير النص وغايته.

---

111 المنافقون: 1.
112 ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 45.
113 ظ: الإيضاح، القزويني: 27.
114 النور: 35.
115 ظ: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: 54.
116 تفسير القرطبي، القرطبي: 5/248+ إمتاع الأسماع، المقريزي: 2/262.
117 مريم: 4.
118 ظ: فتح القدير، الشوكاني: 3/221.
119 ظ: تفسير الكريم الرحمن في كلام المنان، ابن ناصر السعدي: 489.
120 فتح القدير، الشوكاني: 3/221.

2- الأمر: في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ**﴾[121] في الآية إطلاق الخبر وإرادة الأمر أي (ازرعوا)[122] بدليل قوله تعالى: ﴿**فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ**﴾[123] وخروجه إلى الأمر مبالغة في وجود المأمور به فيجعله كأنه موجود فهو يخبر عنه[124]، وهذه هي غاية النص التي أفادنا بها هذا الأسلوب البلاغي من الخبر.

3- **النهي** كقوله تعالى: ﴿ **لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾[125] (خبر تأويله نهي)[126] أي لا ينبغي أن يمسّ القرآن إلا من هو على طهارة (أي مسّ المكتوب فيه).ومنهم من حمله إلى القراءة أيضا[127] (باختلاف بين المفسرين). فالخبر لم يأتِ للإخبار وإنما جاء للنهي عن الفعل، وهذا أبلغ مما لو جيء بصيغة النهي وكأنه قد امتثل لهذا النهي وصار واقعا من العبد عدم مس القرآن إلا على طهارة.وهناك أغراض أخرى كثيرة يخرج إليها الخبر منها الوعيد والاسترحام والتحسر، والتذكير بالمراتب والوعد والتوبيخ والتعظيم والتمنّي والرثاء والتبكيت وإظهار الفرح و المدح والهجاء والدعاء وغيرها كثير[128]. وان كان بعض البلاغين يرجع كل هذه الأغراض إلى الغرضين الأصليين (فائدة الخبر، ولازم الفائدة) وهما اللذان يحملان المعاني التي يخرج اليها الخبر، ففي قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[129] هو خبر من نوع (لازم الفائدة) لأن الله الذي خلق زكريا يعرف انه وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبا، وزكريا يهدف من خبره إظهار ضعفه وعجزه وهكذا في باقي الأغراض فكلها ترجع إلى الغرضين الأصليين[130].

ثانيا: الإنشاء وأثره في التفسير:

الإنشاء لغة: مصدر من الفعل انشأ وهو بمعنى الإيجاد والاختراع والخلق والشروع والابتداء[131].

أما في الاصطلاح: فهو الكلام الذي يحصل مضمونه بمجرد التلفظ به، ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته[132] (وليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه)[133]. يقول القزويني: (ووجه الحصر أن الكلام أما خبر أو إنشاء لأنه أما يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، الأول الخبر، والثاني الانشاء)[134].والإنشاء أما طلبي أو غير طلبي، فالإنشاء الطلبي: (هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب)[135]، أو (هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه)[136]. وهو أما أمر أو نهي أو استفهام أو تمنٍّ أو نداء[137].والإنشاء غير الطلبي: (هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب)[138]. ومنه المدح والذم،

---

[121] يوسف: 47 ().
[122] البرهان، الزركشي: 2/289 ().
[123] يوسف: 47 ().
[124] ظ: الكشاف، الزمخشري: 2/458 ().
[125] الواقعة: 79 ().
[126] البرهان، الزركشي: 3/347 ().
[127] ظ: الكشاف، الزمخشري: 4/457 ().
[128] ظ: الصاحبي، ابن فارس: 134+ ظ: البرهان، الزركشي: 2/317-318+ ظ: الاتقان، السيوطي: 2/.216 ().
[129] مريم: 4 ().
[130] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري شيخ أمين: 60-61 ().
[131] ظ: تاج العروس، الزبيدي: 1/264+ ظ: لسان العرب، ابن منظور: 1/161 ().
[132] ظ: البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: 121+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 49 ().
[133] علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 57 ().
[134] الإيضاح، القزويني: 24 ().
[135] البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: 121 ().
[136] علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 61 ().
[137] ظ: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: 121 ().
[138] م.ن ().

والتعجب، والقسم، والرجاء، وصيغ العقود والإيقاعات.

والاعتناء أكثر بالإنشاء الطلبي لما فيه من مزايا ولطائف بلاغية([139])، تتضح فيما يأتي:

الإنشاء الطلبي:

1ـ أسلوب الأمر:

الأمر لغة: (بمعنى طلب فعل الشيء وإحداثه من المخاطب، وهو نقيض النهي ويجمع على (أوامر)([140]).

أما في الاصطلاح: (هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام)([141]). أو كما عرّفه صاحب الطراز: (صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على وجه الاستعلاء)([142]) وله أربع صيغ،هي:

أ ـ فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾([143]).
ب ـ الفعل المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ**﴾([144]).
جـ ـ المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾([145]).
د ـ اسم فعل الأمر (اسم ينوب عن الفعل معنىً وعملا غير متأثر بعوامل الفعل، كقوله تعالى: ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾([146]) أي (ألزموا أنفسكم) ([147]). وتخرج الجملة الخبرية المجازية إلى معنى الأمر كقوله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾([148]) أي (أي ليرضعن أولادهن)([149]).

المعاني البلاغية لصيغة الأمر:

ويخرج الأمر من معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى لها غرض بلاغي تؤثر في تفسير النص منها:

أ ـ الدعاء: ويأتي بصيغة الأمر ويصدر من الأدنى إلى الأعلى منزلة وشأنا ويسميه ابن فارس (المسألة)([150]).

وهو طلب فيه تضرّع وخضوع، وبلاغته تتأتى من إظهار كمال الخضوع لله تعالى وبيان شدّة رغبة العبد في الغفران والتوبة([151]) كما في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ**﴾([152]) فالأمر هنا مجازي لأن الله تعالى لا يأمره أحد والمراد منه التذلل والتضرع والاستعطاف وفيه تحوّل معنى الأمر إلى معنى الدعاء، وهذا الأسلوب أظهر رغبة العبد في

---

[139] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 50 ().
[140] لسان العرب، ابن منظور: 4/27+ تاج العروس، الزبيدي: 6/31 ().
[141] جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: 77 ().
[142] الطراز، العلوي: 530 ().
[143] النور: 56 ().
[144] الطلاق: 7 ().
[145] البقرة: 83 ().
[146] المائدة: 105 ().
[147] مجمع البيان، الطبرسي: 3/434 ().
[148] البقرة: 233 ().
[149] ظ: الكشاف، الزمخشري: 1/275 ().
[150] الصاحبي، ابن فارس: 138 ().
[151] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 53 ().
[152] آل عمران: 193 ().

الغفران وتكفير الذنوب والتوفيّ مع الأبرار وكأنها أمور مطلوبة منه تعالى على وجه التذلل والتوسل له([153]). وهذا ما أفاد في خروج الأمر من صيغة الاستعلاء والإلزام إلى الرغبة في حصول الشيء على وجه الدعاء.

ب ـ التعجيز: (وهو طلب المخاطب تنفيذ أمر أشبه بالمستحيل ليظهر عجزه ويبين ضعفه تحديا واستضعافا)([154])، مثل تحدّي القرآن لأفذاذ العرب الذين ارتابوا فيه وشككوا في نزوله على الرسول الكريم ﷺ قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾([155]) فان الملحدين باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضا عاجزون عن الإتيان بطائفة من القرآن([156]) فالمراد من الأمر إظهار عجزهم، فان هم حاولوا الإتيان بسورة منه بعد سماع الأمر ولم يمكنهم ذلك ظهر عجزهم وضعفهم، وبذلك تبرز قوة التحدي ويركنون إلى الخضوع والتسليم بضعفهم وقوة كلام الله وعجزهم عن الوصول إليه([157])، فالأمر لم يكن على وجه الإلزام بل من أجل إظهار الضعف والعجز منهم بأسلوب من الأساليب التي أسهم بها علم المعاني.

جـ ـ التمنّي: طلب أمر متعذر أو متعسّر كقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ** ﴾([158]).

قال الحسن: (هذا آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم يكون لهم شهيق كشهيق الحمار)([159]) فهم طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوها عند الموت([160])، ولم يعلموا أن مطلبهم غير ذي جدوى وأمانيهم عديمة التحقق، وقد يعلمون ذلك ولكنهم لشدّة العذاب وانسداد جميع المنافذ أمامهم يكررون هذا المطلب في كثير من الآيات([161]). ورجوعهم إلى الدنيا هو أمر محال فكان الرد منه تعالى عليهم بقوة ﴿ **اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِي** ﴾([162])([163]) فالغرض طمعهم وتمنيهم في استماع طلبهم في إخراجهم من النار ولكنهم يحلمون بهذا، فأفادنا هذا المعنى البلاغي في فهم مراد الله تعالى من النص الكريم، ورسم لنا الصورة التي تمنّاها أهل النار. وخروج الأمر يكثر في النصوص القرآنية لغاية بلاغية يدخل في تفسيرها علم المعاني. ومن هذه الأغراض: الاهانة كقوله تعالى: ﴿ **كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** ﴾([164]) ومنها الخبر: ﴿ **وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾([165]) أي إقامة وجوهكم وقت الصلاة([166]) ومنها الإرشاد والنصح، كقوله: ﴿ **فَاكْتُبُوهُ** ﴾([167]) ومنها التأديب: ﴿ **وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ** ﴾([168]) ومنها الإكرام: ﴿ **ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ** ﴾([169]) ومنها الاعتبار: ﴿ **انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ** ﴾([170])وفيها لفت لقدرة الله تعالى وإبداعه([171]) والى أغراض أخرى يحددها السياق والقرائن التي تأتي مع الأمر فتحدد معناه([172])، مما يبيّن

---

[153] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 53 ().
[154] البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين: 105 ().
[155] البقرة: 23 ().
[156] ظ: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، ابن منير الاسكندري: 1/238 ().
[157] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 290+ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: 57 ().
[158] المؤمنون: 107 ().
[159] مجمع البيان، الطبرسي: 7/209+ معاني القرآن، النحاس: 6/385 ().
[160] ظ: تفسير القرطبي، القرطبي: 12/153 ().
[161] ظ: الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي: 14/103 ().
[162] المؤمنون: 101 ().
[163] ظ: الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي: 10/524 ().
[164] الإسراء: 50 ().
[165] الأعراف: 29 ().
[166] ظ: تفسير الرازي، الرازي: 14/57+ ظ: تفسير الثعالبي، الثعالبي: 3/21 ().
[167] البقرة: 282 ().
[168] النساء: 34 ().
[169] الحجر: 46 ().
[170] الانعام: 99 ().
[171] ظ: الكشاف، الزمخشري: 2/50 ().
[172] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 53-66 ().

أثر علم المعاني في تحديد معاني الآيات الكريمة والنظم الشريف.

2- أسلوب النهي:

النهي لغة: (المنع، نهاه عن كذا أي منعه، وسمي العقل نُهية لأنه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب)([173]).

وفي الاصطلاح: (طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام)([174]). (وله صيغة واحدة هي المضارع المقترن بـ(لا) الناهية الجازمة)([175]) وهذه الصيغة تستعمل مع المخاطب والغائب على السواء وقد تأتي في نهي النفس([176]). وقد يُستعمل الخبر بمعنى النهي، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَا لا اللهَ**﴾([177]) أي (لا تعبدوا)([178]).

(أغراض النهي البلاغية)

والمهم في البحث هي الأغراض التي يخرج إليها النهي والتي تفيد في فهم المعنى وهي كثيرة اخترنا منها:

أ ـ الدعاء: (ويكون من أدنى إلى أعلى ومن صغير إلى كبير، ومن ضعيف إلى قوي ومن مخلوق إلى خالق)([179])، كقوله تعالى على لسان العبد المؤمن: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾([180]) فهو ليس نهي الله تعالى بأن لا يزيغ قلوبهم بعد أن ابلغهم جادة الهدى والإيمان، ولكنه دعاء يحمل معنى التوسل والرجاء بالله تعالى، فهم يتوسلون به لتثبيتهم على الهداية والإمداد بالألطاف والتوفيقات الإلهية([181]). (والدعاء مائدة روحية يجتمع حولها الأنبياء والصالحون حيث تسمو النفوس المؤمنة إلى مقام القرب من الله تعالى حيث معراج الروح البشرية إلى رحاب النور، والدعاء خشوع وخضوع وتضرُع وتوسُل ورجاء إلى أبواب الله المفتوحة لعباده الصالحين)([182])، فالدعاء يبعد النفس عن الحيرة والقلق ويقرّبها من السكون والطمأنينة، فلا غنى للعبد عن هذه المائدة الروحية. التي أفادنا بها هذا الأسلوب الإنشائي من أساليب علم المعاني ليؤدي غرضه في توضيح كلام الله تعالى: قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾([183]).

ب ـ الالتماس: وهو طلب الندّ من الندّ والصديق من صديقه والأخ من أخيه وليس فيه استعلاء أو إلزام([184]) كقوله تعالى على لسان هارون: ﴿ **قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي**﴾([185]) فالنهي ليس فيه استعلاء أو خضوع أو تذلل لأنه صادر من الأخ لأخيه فهو التماس رقيق منه ليعفو عنه، وفي قوله: (يا ابن أم) ترقيق لقلب موسى عليه السلام

---

[173] لسان العرب، ابن منظور: 15/339+ مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: 4/375+ تاج العروس، الزبيدي: 20/270.
[174] المصباح، ابن مالك الدمشقي: 153.
[175] الإيضاح، القزويني: 117.
[176] بسكون الميم، المائدة: 106. ﴿وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ :ظ: زاد المسير، ابن الجوزي: 2/331 في قراءة شاذة لقوله تعالى.
[177] البقرة: 83.
[178] الاتقان، السيوطي: 2/106.
[179] البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين: 109.
[180] آل عمران: 8.
[181] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 2/242.
[182] مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: 4/ (المقدمة) على أصغر مروارد.
[183] البقرة: 186.
[184] ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: 113.
[185] طه: 94.

رغم انه أخوه من أبيه وأمه ولكنه أراد استعطافه[186]، فالغرض الذي أفاده النهي هو إظهار حرص هارون على مسامحة أخيه له ورغبته القويّة في ترقيق قلبه[187]. ولم يكن هذا المعنى ليتوضّح إلا بهذا الأسلوب الإنشائي في الالتماس.

جـ ـ التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾[188] المقصود من هذه الآية الكريمة بأنه تعالى عالم بما يفعل الظالمون ولا يخفى عليه شيء، وانه معاقبهم على قليله وكثيره، والنهي جاء على سبيل الوعيد والتهديد، فالله تعالى رقيب على هؤلاء محاسب لهم عما يعملوه ولو كان بقدر النقير والقطمير[189] وجاء في تفسير الطبري: (أن الآية وعيد للظالم وتسلية للمظلوم)[190] وعن صاحب الميزان: (انها إنذار للظالمين وتعزية للمظلومين)[191] فالظالم سيلقي جزاءه حتما في يوم الجزاء وسينتقم الله للمظلومين في ذلك اليوم. فالمراد ليس النهي عن أن يحسب الله غافلا عن الظالمين وما يفعلون في الحياة الدنيا، بل هو تهديد لهؤلاء الظالمين بأنه تعالى سيحاسبهم على أعمالهم كلها صغيرها وكبيرها لأنه رقيب عليهم، وانه أمهلهم في الحياة ليزدادوا إثما ويشتد حسابهم ويكون عسيرا وسوف يرى المظلوم حسابهم في الآخرة، والله عادل حكيم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعالَمِينَ**﴾[192].

ويخرج النهي إلى أغراض أخرى توصل إلى الغاية من آياته تعالى وتبيّن اسهامة علم المعاني بأسلوب النهي في تفسير النصوص القرآنية لتوصلنا إلى معنى الإعجاز.

3ـ أسلوب الاستفهام:

الاستفهام لغة: (طلب لفهم)[193].

وفي الاصطلاح: طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأدوات خاصة[194]

الأغراض البلاغية للاستفهام:

يحمل الاستفهام إلى جانب معناه الأصلي معانٍ أخرى، وقد تكون هذه المعاني أكبر واهمّ من المعنى الأصلي، ويمكن إدراكها بالذوق السليم والحس المرهف ففيها تتضح الغاية والمراد. ومن المعاني التي خرج إليها الاستفهام.

أ ـ الأمر: كما في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ**﴾[195] أي (اصبروا)[196] والفتنة: افتتان الناس ببعضهم فالفقير يفتتن بالغني والأعمى يفتتن بالبصير والسقيم يفتتن بالصحيح، وهكذا[197]، وغاية الاستفهام هنا أمرهم بالصبر لأن مفاتن الدنيا كثيرة ولا يصبر عليها إلا من قوي إيمانه وزادت ثقته بالله تعالى، فالله أمرهم بالصبر لتظهر معادنهم ويتضح إيمانهم، وليحثهم على الاستجابة وقبول الأمر فلم يأتِ به بصيغة الأمر وإنما جاء

---

[186] ظ: من بلاغة النظم العربي، د. عبد العزيز عرفة: 2/90 ().
[187] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 300 ().
[188] ابراهيم: 42 ().
[189] ظ: الكشاف، الزمخشري: 2/541 ().
[190] جامع البيان، الطبري: 13/309 ().
[191] الميزان، السيد الطباطبائي: 12/80 ().
[192] آل عمران: 108 ().
[193] لسان العرب، ابن منظور: 12/447 + تاج العروس، الزبيدي: 17/403 ().
[194] ظ: الايضاح، القزويني: 108 +ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين: 84-94 ().
[195] الفرقان: 2 ().
[196] الاتقان، السيوطي: 2/215 ().
[197] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 7/283 ().

على هيئة استفهام لإضفاء الترغيب والتحريض لامتثال ذلك الأمر([198]) فساعدنا علم المعاني بأسلوب من أساليبه على فهم مراد الله تعالى من النصّ الكريم وتبيان مقصده.

ب ـ الإنكار: (والإنكار هو الجحود)([199]) والإنكار أما أن يكون توبيخ أو تكذيب([200]) فمن انكار التكذيب قوله تعالى: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾([201]) (أي أظننتم انا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم إنكم لا تحشرون ولا تسألون عما كنتم تعملون)([202]) فالذين يزعمون ذلك هم كاذبون، لأن الله لم يخلقهم عبثا لكي يعيشوا ويكبروا ثم يموتوا بل هناك دار أخرى تنتظرهم حيث يجدون فيها جزاء أعمالهم([203]). فالإنكار هنا هو تكذيب لمن زعم انه سيفلت من الحساب، والإنكار بهذا الأسلوب هو أبلغ وأكثر تأثيراً مما لو جاء الكلام بجملة خبرية فبهذا الأسلوب يتنبه الإنسان ويتعظ ويفكر في الغاية من خلقه وموته ثم بعثه، وهو مادلّنا عليه الاستفهام الإنكاري من هدف جليل، وأوصلنا إليه أحد أساليب المعاني.

جـ ـ التمنّي: هو خروج الاستفهام إلى ما لا يُرجى حصوله لاستحالته أو لكونه لا يُطمع في نيله([204]). ففي قوله تعالى على لسان الكافر: ﴿ **فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا**﴾([205]) فهم لم يسألوا عن شفعاء في ذلك اليوم، ولكنه تمنٍّ منهم لشدة وهول ما هم فيه، حيث وضعوا الممكن مكان المستحيل([206]). فالآية تصوّر حال الكافرين بصورة حيّة نابضة توحي للمتأمّل ما عليه حالهم من ألم وشدّة وضنك([207])، فهم يتمنّون الشفعاء الذين وسوسوا لهم في الدنيا لغوايتهم، وتخلوا عنهم في ذلك اليوم الرهيب فليس لهم من شفيع، قال تعالى: ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾([208]) فخروج الاستفهام إلى غير معناه الحقيقي: (وهو احد أساليب المعاني) صوّر لنا المفهوم والمراد من قوله تعالى، وحقق لنا الغرض من خروجه إلى التمني. ويخرج الاستفهام إلى معان أخرى كثيرة لا مجال لحصرها([209]) والاستفهام من أوفر أساليب الكلام معانٍ وأوسعها تصرُّفا وأكثرها في مواقف الانفعال ورودا، فتتوالى أساليبه في مواطن التأثر، وحيث يُراد التأثير واستمالة النفوس، وان كان لكلام القرآن قمّة عليا في البلاغة، فان أسلوب الاستفهام يحتلّ أعلى مكان في تلك القمّة، فأغراض الاستفهام البلاغية في القرآن كثيرة تصل إلى ما يقارب ألف ومائتين وأربعين أسلوبا، تتوالى في مواضع عديدة، محققة التلوين الكلامي الذي يهزّ المشاعر، ويبعث في النفس شغفا وشوقا إلى تتبعه في أساليبه([210]). ولكن المهم فيها معانيها البلاغية وما تخرج إليه من معانٍ يستفاد فيها من سياق النص، وغالبا ما تأتي النصوص بأغراض عديدة في آنٍ واحد، وذلك حسب ما يُفهم من النص الكريم، فمثلا في قوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**﴾([211]) فنجد الاستفهام فيها يفيد إنكار

---

[198] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 84 ().
[199] لسان العرب، ابن منظور: 5/188+ مجمع البحرين، الطريحي: 4/270() ظ:الاتقان،السيوطي:2/215().
[200] القيامة: 36 ().
[201] مجمع البيان، الطبرسي: 7/214 ().
[202] ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: 3/49 ().
[203] ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: 90 ().
[204] الاعراف: 53 ().
[205] ظ: تفسير القرطبي، القرطبي: 7/217+ ظ: البرهان، الزركشي: 2/321 ().
[206] ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: 91 ().
[207] غافر: 18 ().
[208] ظ: البرهان ،الزركشي: 2/338-343+ ظ: الإيضاح، القزويني: 112-117 + ظ: الاتقان، السيوطي: 2/212-217 ().
[209] ظ: فن البلاغة، عبد القادر حسين: 137-138 ().
[210] البقرة: 28 ().
[211]

الكفر، ويفيد التعجب من وقوعه[212]، ويفيد التنبيه والتوبيخ[213]و الاستبعاد والتوعد وغير ذلك مما ينبعث منه الأسلوب، وما تتأمّله النفس من أغراض[214]وأحيانا يكون النص بمعنى عند أحد المفسرين، وعند غيره بمعنى ثان ٍ، ففي قوله تعالى: ﴿**مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**﴾[215] فقد اختلفوا في معناه فقالوا بمعنى الاستبطاء[216] والاستعجال بالنصر[217] ورجّح الطبرسي معنى الدعاء لله بالنصر: (لأنه لا يجوز أن يكون استبطاء لنصر الله لأن الرسول ﷺ يعلم أن الله لا يؤخرّه عن الوقت الذي توجبه الحكمة الإلهية)[218].وقال الزمخشري: (في الآية طلب للنصر وتمنيه)[219] وهو رأي دقيق اذ أن التمنّي ظاهرٌ فيه[220] وهكذا يبحر المفسّرون في التقاط المعاني. التي يرونها في النصوص لأجل التوصُّل إلى الغاية الكبرى وهي معرفة مراد الله تعالى، وبالتالي التوصُّل إلى سرِّ إعجاز كتابه الكريم.

4- أسلوب التمني :

التمني لغة: (محبة حصول الشيء)[221]. وفي الاصطلاح: (طلب حصول الشيء المحبوب الذي لا يُرجى ولا يتوقع حصوله)[222].أما لاستحالة الحصول عليه أو بعد مناله[223] وأداته هي (ليت) ويشاركها في التمنّي لأغراض بلاغية (هل، لو، ولعل)[224].

أغراض التمني البلاغية:

أ ـ يُتمنى بـ(هل) لإظهار المتمنّى في صورة الممكن لشدّة الرغبة فيه[225]، كما في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**﴾[226] في تمنّي الكافرين الخروج من النار بأي طريق كان[227]، فهم يتمنّون المخرج والخلاص، وبما أنه شيء مستحيل فظنّوا أن غير الممكن ممكنا، فجاء الكلام بالتمنّي بـ(هل) بدلا من (ليت) وهذا من فرط حيرتهم ودهشتهم وشدّة ما هم فيه[228]. فالغرض البلاغي من التمنّي بـ(هل) أوقع في النفس من (ليت) لأنها صوّرت حالهم وأبرزت مكنونات نفوسهم، ولما كان عدم وجود مخرج لديهم معلوم امتنع تأويل الآية على الاستفهام، وانصبّ على التمنّي[229].

وهذا ما أفاده المعنى البلاغي لاستعمال (هل) في التمنّي ومن خلاله رسم الملمح التفسيري للنص القرآني.

ب ـ ويُتمنّى بـ(لو)كقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ**﴾[230] أي ليت لنا عودة إلى الدنيا كي نتبرأ من

---

[212] ظ: البرهان الزركشي: 2/14 ().
[213] ظ: مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: 420().
[214] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 318 ().
[215] البقرة: 214 ().
[216] الاتقان، السيوطي: 2/217 ().
[217] فتح القدير، الشوكاني: 1/215 ().
[218] مجمع البيان، الطبرسي: 2/67 ().
[219] الكشاف الزمخشري: 1/254 ().
[220] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 91 ().
[221] مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: 4/236 ().
[222] جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: 103+ شرح المختصر، التفتازاني: 1/93 ().
[223] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ امين: 81 ().
[224] م .ن: 82 ().
[225] ظ: البليغ في المعاني والبيان والبديع، احمد أمين الشيرازي:124 ().
[226] غافر: 11 ().
[227] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 8/429 ().
[228] ظ: الكشاف، الزمخشري: 4/151 ().
[229] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ امين: 83 ().
[230] البقرة: 167 ().

مضلينا كما تبرّأوا منا([231]) واستعملت (لو) لإظهار المتمنّى في صورة الممتنع أشعارا بعزته (فهي حرف امتناع لامتناع)([232])، ومجيئها للتمنّي لغرض بلاغي هو كون المتمنّى شيئا مستحيلا لشدّة الرغبة والتلهُّف لحصوله([233])، وهذا ما أفاده التمني لمجيئه بالأداة (لو).

جـ - ويُتمنّى بـ(لعلَّ): وهي أداة ترجٍّ والترجّي ممكن الوقوع والحدوث غالبا([234]): كما في قوله تعالى: ﴿ **لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**﴾([235]) ففرعون يعرف أن ما يبتغيه هو أمر مستحيل، ولكن من شدة خيلائه وضلاله ورغبته في وقوعه تصوّر أن هذا الشيء ممكن الحصول([236]). وهو ما أفاده المعنى البلاغي لاستعمال (لعلّ) فهي قد تحوّلت من الترجي إلى التمنّي لبعد الشيء المرجو.

فرأينا أن أسلوب التمنّي شأنه شأن أساليب الإنشاء الأخرى قد أسهم في رسم ملامح النصّ القرآني بخلق جوّ نفسي للشيء المتمنّى الذي يستحيل حصوله، باستعمال الأدوات الخاصّة بالاستفهام أو الامتناع أو الترجي لوقوعها في النفس وتأثيرها في إفادة المعنى أكثر مما لو استعملت أداته (ليت).

5- اسلوب النداء:

النداء لغة: رفع الصوت وظهوره،وأصله من النّدى أي الرطوبة، يقال صوت نديّ أي رخيم([237]).

وفي الاصطلاح: طلب إقبال المدعو إلى الداعي بأحد حروف مخصوصة([238]). أو (طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو) لفظا أو تقديرا)([239]) أو (التصويت بالمنادى ليقبل)([240]) والنداء يكون مدّ الصوت للبعيد بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾([241]) فالنداء للبعيد والمناجاة للقريب([242]) فبيّن تعالى انه كما ناداه ناجاه أيضا([243]) روي أن إعرابياً سأل رسول الله ﷺ : (أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه)([244]) فنزلت الآية الكريمة:

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾([245]) .

المعاني البلاغية للنداء:

---

[231] ظ: تفسير شبر، عبد الله شبر: 64 ()
[232] مغني اللبيب، ابن هشام الانصاري: 1/259 ()
[233] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 119 ()
[234] ظ: شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمذاني: 2/357 ()
[235] غافر: 36-37 ()
[236] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 340 ()
[237] ظ: لسان العرب، ابن منظور: 15/300+ ظ: مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: 4/290 ()
[238] ظ: شروح التلخيص، القزويني: 333 ()
[239] شرح المختصر، التفتازاني: 1/214 ()
[240] البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: 140 ()
[241] مريم: 52 ()
[242] ظ: زبدة البيان، المحقق الاردبيلي: 165 ()
[243] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 6/428+ ظ: تفسير الرازي، الرازي: 21/231 ()
[244] بحار الانوار، العلامة المجلسي: 87/53 ()
[245] البقرة: 186 ()

يخرج النداء إلى معانٍ أخرى غير طلب الإقبال والتنبيه منها:

أ ـ التعجب: كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ** ﴾[246] في قول امرأة إبراهيم عليه السلام (يا ويلتي) لم ترد طلب الإقبال وإنما تعجّبت من تبشيرها بالولادة ولها من العمر ثمان وتسعون سنة ولإبراهيم مائة وعشرون سنة[247]. وقال القرطبي: (لم ترِد الدعاء على نفسها، ولكن كلمة (يا ويلتي) تدل على التعجب من ولادتها وهي عجوز وبعلها شيخ كبير، فخرج الأمر عن العادة، فهو مستغرب ومستنكر)[248] فالنداء خرج إلى معنى التعجب، وهذا مما اعتاد عليه العرب،ويذكر الشيخ الطوسي عن الزجاج (ت311هـ) قوله: (إن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن أمر عظيم يقع فيه جعلته نداءً)[249]، فخروج النداء من التنبيه إلى التعجب عن طريق الاستفهام وضّح المراد من النص وهو استغرابها للأمر غير المتوقع، وتبيّن المعنى البلاغي لخروج النداء من معناه الحقيقي.

ب ـ الندم والجزع: ففي قوله تعالى على لسان الكافر: ﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾[250] فجاء كلامه بحرف النداء والتمنّي بـ(ليت) ومعناه الندم والتوبة على ما كان منه ودخولا في الإيمان[251]، يقول صاحب الميزان: (انه تمنّى انه لم يسكن إلى ما سكن واغترت به نفسه وسائر الأسباب التي لم تنفعه شيئا)[252]. فالنداء لم يقصد منه التنبيه على نفسه وإنما الندم على شركه بالله تعالى حين لا تنفعه ندامة[253] وقال الطبرسي: (انه ندم لفناء ماله، فلم ينفعه الندم)[254]. وأظهرت صيغة النداء ما في نفسه من حزن وندم على ما عمله في دنياه.

فخروج النداء على غير مقتضاه أوضح لنا المقصود من قوله تعالى وهذه هي الغاية التي يطمح لها علم المعاني في أحد أساليبه لتوضيح صورة النص القرآني.

جـ ـ الاستهزاء والتهكم: كقوله تعالى على لسان الكافرين:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾[255] النداء منهم بقصد الاستهزاء بالرسول ﷺ وبما أنزل عليه، فهم قد أقرّوا بنزول الذكر إليه، ولكنهم نسبوه إلى الجنون، والتهكم واضح في كلامهم[256]. فكأنّهم يقولون: (إنك مجنون في دعواك بأنه أنزل إليك الذكر، ولم تكن ممن يقرأ وفي توهمك انّنا نتبعك)[257]. فالنداء جاء منهم للسخرية والتهكم من الرسول ﷺ ، ولم يذكر اسمه أو صفته استهزاءً به فخروج النداء إلى هذا المعنى البلاغي أوضح مراد الله تعالى من قول المستهزئين، فإنهم لم يقصدوا مناداته وإنما السخرية منه ومن دعوته، بأسلوب من أساليب المعاني الذي أوضح لنا المعنى المقصود من قوله تعالى.

ويأتي النداء لأغراض أخرى كثيرة، فيها حسّ بلاغي، فلا يؤدي معنى التنبيه بل معان أخرى مثل: الحسرة، والندم،

---

[246] هود: 72.
[247] ظ: الكشاف، الزمخشري: 2/295.
[248] تفسير القرطبي، القرطبي: 9/69.
[249] التبيان، الشيخ الطوسي: 4/115.
[250] الكهف: 42.
[251] ظ: الكشاف، الزمخشري: 2/696.
[252] الميزان، السيد الطباطبائي: 3/307.
[253] ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: 7/48.
[254] مجمع البيان، الطبرسي: 6/344.
[255] الحجر: 6.
[256] ظ: الكشاف، الزمخشري: 3/11.
[257] ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: 6/318+ ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 6/103.

والتكريم، والتشهير، والاختصاص أو إلى التحسر والتوجع أو الإغراء والتحذير([258])،تسهم في تفسيرالنص القرآني

.

التعبير بالخبر عن الإنشاء وبالإنشاء عن الخبر:

وهو مقصد بلاغي، القصد منه التنويع في الكلام والتأثير في المخاطب وجذب انتباهه، فالخبر قد يراد منه الإنشاء لغرض التفاؤل مثلا أو إظهار الرغبة في حدوث الشيء، أو الاحتراز عن صورة الأمر تأدُّبا واحتراما للمخاطب وغالبا ما تأتي هذه الصيغ بلفظ الماضي، دلالة على أن الأمر حاصل فعلا لازدياد الرغبة فيه([259])، ويعلل مجيئها هكذا من باب الأدب والذوق اللذين يقودان المتكلم إلى العزوف عن الأمر، ولاسيّما أمر الكبير العظيم، وفي هذا الاستعمال ما يدل على الأدب واللطف والبلاغة التامّة([260]).

ويعبّر بالإنشاء عن الخبر لأغراض منها:

أ ـ الاهتمام بالشيء، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾([261]) أي (بإقامة وجوهكم)([262])، وهذا العدول من الخبر المحتمل للصدق والكذب إلى الإنشاء ينبّه إلى وجوب الاهتمام بالمأمور به والحرص على تحقيقه، والإشعار بقيمة الصلاة وأثرها، وجليل قدرها في الدين وعناية بها([263]).

ب ـ الرضا بالواقع كأنه مطلوب، كقول الرسول ﷺ (من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار)([264])، عدل إلى الأمر للدلالة على انه مطلوب، وفيه وعيد وتحذير وزجر([265]).

جـ ـ الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾([266]) فقوله: (اشهدوا) احتراز عن مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى، وفيه تعظيم لهود عليه السلام وإعلاءً لشأنه وتحقير للكفرة المشركين، وأبرزه الحال في صورة الآمر الذي يوجّه أوامره إليهم، وعليهم الخضوع والإذعان والاستجابة لما يأمر به([267]) فاحترز عن مساواة السابق باللاحق بالعدول من صيغة الخبر إلى الإنشاء الطلبي ترفعا واعتزازا([268]).والكلام الجيّد هو الذي يتنوع فيه الأسلوب بين الخبر والإنشاء، مما يجذب السامع ويحرّك فكره، فالمواقف التي تحتاج إلى حدّه وانفعال وإثارة وتحريك يورد فيها الأساليب الإنشائية، أما مواطن السرد والحكاية فيورد بها الجمل الخبرية([269]).فنرى أن الخبر بمباحثه من حيث خروجه إلى غير مقتضى الظاهر

---

[258] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 333-337+ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 128-134 ()

[259] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: 41 ()

[260] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري أمين: 1/120 ()

[261] الاعراف: 29 ()

[262] تفسيرالثعالبي،الثعالبي:3/21 ()

[263] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري أمين: 1/121 ()

[264] السرائر: ابن ادريس الحلي: 2/154 ()

[265] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 343 ()

[266] هود: 54 ()

[267] ظ: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، ابن منير الاسكندري: 2/276 ()

[268] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري أمين: 1/121 ()

[269] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: 343- 344 ()

المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

1-الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) (ت911هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، ط1، دار الفكر، لبنان 1416هـ

2-أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية، د. صباح عباس جودي عنوز، ط1، دار الضياء، النجف الاشرف، العراق، 1428هـ
3-أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط1، مؤسسة بوستان كتاب، ايران، 1428هـ.
4-أضواء البيان، الشنقيطي (ت1393هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1415هـ
5-إمتاع الإسماع، المقريزي (تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، ت845هـ)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، 1420هـ.
6-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، معاصر، ط2، قسم الترجمة والنشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين
7-الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ابن منير الاسكندري (الامام ناصر الدين أحمد بن محمد المالكي، ت683هـ)، الطبعة الاخيرة، مطبعة 8-8-مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1385هـ.
الايضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع) الخطيب القزويني، (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، ت739هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ
9-بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، (ت1111هـ)، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، 1403هـ
10-بديع القرآن، ابن ابي الاصبع، تحقيق: حنفي شرف، ط1، مكتبة نهضة مصر
11-البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (بدر الدين محمد بن عبد الله، ت794هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط1، دار احياء الكتب العربية، 1376هـ.
12-البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)، د. بكري الشيخ أمين، 013ط3، دار العلم للملايين، 1410هـ.
14-البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)، د. فضل حسن عباس، ط3، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن، 1413هـ.
15-البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير، ط2، 1410هـ
16-البليغ في المعاني والبيان والبديع، الشيخ أحمد الشيرازي، ط1، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، 1422هـ.
17-تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محيي الدين ابو منفي السيد محمد مرتضى الحسيني، 1205هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1414هـ.
18-التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ابو جعفر محمد بن الحسن، ت460هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، ط1، مكتب الاعلام الاسلامي، 1209هـ.
19-التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، ط5، دار عمار، عمان، 1428هـ
20-تفسير الأصفى ، الفيض الكاشاني (المولى محمد محسن، ت1091هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم، ط1، مكتب الاعلام الإسلامي، 1418هـ
21-تفسير الآلوسي، الآلوسي (ت1270هـ).
22-تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي، ت875هـ)، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان: 1418هـ.
23-تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن، ت548 هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، قم
24-تفسير الرازي (التفسير الكبير) الفخر الرازي (محمد فخر الدين عمر خطيب، ت606هـ)، ط3، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
25-تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم (ت 1423هـ)، ط1، المطبعة شريعت، قم، 1420هـ.
26-تفسير شبر، السيد عبد الله شبر (ت1242هـ)، مراجعة: د. حامد حنفي داود، ط3، مطبوعات القاهرة، 1385هـ.
27-تفسير القرطبي(الجامع لاحكام القران)، القرطبي (ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري، (ت671هـ)، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ.
28-تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي (ابو الحسن، ت329هـ)، تحقيق: طيّب الموسوي الجزائري، ط3، مؤسسة دار الكتاب، قم، ايران، 1404هـ.
29-تفسير الكريم الرحمن في كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت1376هـ)، تحقيق: ابن عثيمين، مطبعة بيروت، مؤسسة الرسالة ،نشر: مؤسسة الرسالة، 1421 هـ.

30-تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد، (ت 538 هـ)، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1427هـ

31-تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي (ت1125هـ)، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1407هـ

32-تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي (ابو علي الفضل بن الحسن، ت548هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1405 هـ.

33-جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير، ت310هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1415هـ.

34-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ط12، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

35-الحاشية على الكشاف، الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي زين الدين ابي الحسن الحسيني، ت531هـ)، الطبعة الاخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1385هـ.

36-خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني),محمد ابو موسى ,القاهره 1400 هـ.

37-دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت471او474هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، مصر، 1413هـ.

38-زاد المسير في علم التفسير، ابن اجوزي (ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، ت597هـ)، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1407هـ.

39-زبدة البيان في أحكام القرآن، المقدس الاردبيلي (احمد بن محمد، ت993هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، نشر: الممكتبة الرضوية، طهران.

40-السرائر، ابن ادريس الحلي، (أبو جعفر محمد بن منصور، ت598هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، ط2، مؤسسة النشر الاسلامي، 1410هـ.

41-شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمذاني (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، ت769هـ)، ط14، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1384هـ.

42-شرح المختصر سعد لدين التفتازاني (ت791هـ)، نشر: اسماعيليان، 1427هـ.

43-شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني (ت791هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

44-الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (ت544هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1409هـ.

45-الصاحبي، ابن فارس (ابو الحسين احمد بن فارس، ت395هـ)، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1428هـ.

46-الطراز,السيد يحيى بن حمزه بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني ,تدقيق محمد عبد السلام شاهين,ط1 ,دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان,1415 هـ.

47-عبد القاهر وجهوده في البلاغة العربية، أحمد أحمد بدوي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع الاستاتوماس، ط2.

48-علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط2، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، 1425هـ

49-علم المعاني، درويش الجندي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر

50-علم المعاني، عبد العزيزعتيق، ط1 ، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1420هـ.

51-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني (محمد بن علي بن محمد، ت1255هـ)، بلا

52-فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

53-قواعد البلاغة على ضوء القرآن والسنة، الشيخ مصطفى النوراني، ط1، مكتب أهل البيت، قم، 1422هـ.

54-القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي، د. محمود البستاني، ط1، مجمع البحوث الاسلامية، ايران، مشهد، 1414هـ

55-لسان العرب، ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت711هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، ايران، 1405.

56-مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت1085هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط2، مكتب النشر: الثقافة الاسلامية، 1408هـ.

57-مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1424هـ.

وأغراضه البلاغية التي خرج إليها، قد أثرت في تفسير النصوص القرآنية وتغيير ملامحها، وإذا انتقلنا إلى مباحث الإنشاء الطلبي من أمر ونهي واستفهام وتمنٍ ونداءفنرى أن لكل أسلوب اسهامة مضيئة في رسم ملامح النصوص القرآنية وإضفاء المعنى البلاغي لها، فهي تقرّب النص من الذهن وتحرّك النفس له مما يكوّن جوّا ملائما للاستيحاء من هذه الأساليب ملامح تفسيرية تساهم في الوصول إلى مراد الله تعالى من نصوصه الكريمة، حيث يتوقف معنى هذه النصوص على هذه الأساليب البلاغية، وعبرها نتوصل حتما إلى القول بالإعجاز القرآني الذي أسهم في تطوّر هذه الأساليب عبر نصوصه الكريمة الثريّة بكل علم يحتاجه الإنسان في التوصُّل إلى معرفة تفسيرها.

الخاتمة

1. إن لمعاني القرآن قدرة على الأخذ بيدّ المفسر لتفسير القرآن الكريم بطريقة مقرّبة إلى النفس وموحية بصور إبداعية تجعل المتلقي يتأمل فيها فينفتح ذهنه للتفكّر والتدبّر والمساهمة في معرفة هذا الإبداع، ويقف مبهورا أمام الإعجاز القرآني الذي آلف بين تلك المعاني التي أحكمت بدورها الأبنية والسياقات ثم وجّهت الدلالة التفسيرية نحو المراد، فتفردت معاني القرآن بها وتنّوعت أقسامها على وفق التخصص، فأصبحت بمثابة الشكل الذي احتضن المقصد التفسيري، أي كانت الدلالة التفسيرية بمثابة المضمون. ومن هنا كان الإعجاز, حيث أصبحت معاني القرآن الكريم قوالب للقصدية التفسيرية.

58-مشكاة الانوار في غرر الاخبار، علي الطبرسي (أبو الفضل، ت القرن7)، تحقيق: مهدي هوشمند، مطبعة ونشر دار الحديث، ط1، 1418هـ.

59-المصباح في المعاني والبيان والبديع، الدمشقي (أبو عبد الله بدر الدين بن مالك الشهير بـ(ابن الناظم، ت686هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ.

60-مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن، ت460 هـ)، ط1، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، 1411هـ.

61-المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ط3، دار المعارف، 1398هـ.

62-معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس (ت338هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط1، معهد البحوث العلمية، 1408هـ

64-مفتاح العلوم، السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي، ت626هـ)، تحقيق وتقديم وفهرسة: د. عبد الحميد الهنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ

65 -المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت502هـ)، ط1، دفتر نشر الكتاب، 1404هـ.

66-من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، ط1، مكتبة الارشاد، الجمهورية اليمنية، 1418هـ.

67-مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطاب الرعيني (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، ت954هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ.

68-مواهب الرحمن في تفسير القران,السيد عبدالاعلى الموسوي السبزواري(ت1414 هـ),مطبعة الاداب ,النجف الاشرف,1404 هـ

الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ت1412هـ) منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة

69-النص الادبي من التكوين الشعري إلى انماط الصور البيانية وهيمنة التكوين الشعري (دراسات بيانية وتطبيقية،) د. صباح عباس عنوز، مطبعة دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، ط1، 1426هـ.

70-نهج البلاغة، خطب الامام علي (ت40هـ)، تحقيق: شرح محمد عبدة، مطبعة النهضة، قم، ط1، دار الذخائر، قم، ايران، 1412هـ.

2. رأى البحث أن في التقديم ميزة كبيرة فهو قادر على إيضاح معاني النصوص للوصول إلى القصد الرباني على قدر ما يستطيعه المفسر فضلا عمّا يمنحه من تشويق وترغيب في النفس لمعرفة ما يأتي بعده، وأحيانا يقتضي تفسير النص تأخير الكلام فيؤخّر على وفق ما يقتضيه المقام، وفي كل من التقديم والتأخير إعجاز بلاغي يكمن وراء البناء التركيبي للجملة لا يصل الإدراك البشري إلى مستوى نسجه.

3. كان لمباحث الخبر والإنشاء الأثر نفسه في تفسير النصوص لاسيّما عند خروجها إلى معانٍ بلاغية غير المعنى الحقيقي، أو استعمال كل منهما عوضا عن الآخر، فإذا كان التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، فإن علم المعاني قد أسهم بأساليبه في إظهار الملامح التفسيرية للنصوص القرآنية الكريمة، فلا بدّ للمفسر من معرفته والاطلاع عليه.

الهوامش